

الحلقة السابعة والثمانون

سفر الأمثال

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. كنا بدأنا قبل فترة بدراسة سفر الأمثال للملك سليمان. وعلمنا أن هدف سفر الأمثال هو تقديم نصائح عملية على شكل أمثال تحمل حقائق أخلاقية، وذلك لكي تعلم الناس كيف يحيون حياة نقيّة وصادقة.

بدأنا قبل لقائين بالحديث عن الأمثال التي تكلم بها لموئيل ملك مسّا. والتي هي عبارة عن ثلاث نصائح قدّمها له والدته. حيث حذّرتة في النصيحة الأولى من شهوة النساء. وحذّرتة في النصيحة الثانية من الإدمان على الخمر وشرب المسكر. وذكرنا أن السكر يضر بصحة الإنسان ويدمر حياته.

وفي لقاء اليوم سننتقل إلى النصيحة الثالثة، والتي حضّته فيها أمه كملك على الحكم بالحق والعدل للمحتاجين. كتب لموئيل قائلاً: "افتح فمك لأجل الأخرس في دعوى كل يتيم. افتح فمك. اقض بالعدل وحام عن الفقير والمسكين." (أمثال ٣١: ٨ و ٩)

إنها بالحق نصيحة هامة توجهها والدة لابنها الملك. فالعدل كما يُقال هو أساس الملك أو الحكم. والغريب أن هذه النصيحة وُجّهت قبل مجيء المسيح بمئات السنين. حيث لم يكن هناك انتشار لمفهوم العدل ولا لحقوق الإنسان. ولم يكن هناك محامون أو جمعيات تدافع عن حقوق الإنسان. ولو سار معظم الملوك والحكام والحكومات اليوم بهذه النصيحة لعمّ العدل عالمنا، وغاب الظلم. لكن مع الأسف إن الواقع مناقض لذلك تماماً، حيث يغيب العدل عن الكثير من المجتمعات البشرية. ومازال الكثيرون ممن لا يجدون من يدافع عنهم أو يُسمع صوتهم.

نأتي الآن إلى النصيحة الثالثة لوالدة لموئيل، إذ تدعوه أولاً لكي "يفتح فمه من أجل الأخرس في دعوى كل يتيم". وهنا لا تقصد الإنسان الأخرس فعلياً، لكن الأخرس معنوياً. أي الذي لا يستطيع أن يتكلم دفاعاً عن حقوقه، بسبب أنه يتيم ولا يوجد من يدافع عنه، أو بسبب ظروف قاسية تمر عليه. وهذا وضع نراه في الكثير من الحالات، حيث نجد البعض يقف عاجزاً حتى عن الشكوى، والتعبير عما يواجهه من ظلم. إما خوفاً من المستبدّين به، أو لأنه قد فقد الأمل بإمكانية تحسن وضعه، ورفع الظلم عنه. أو لأنه لا يرغب أن يثير مشاكل في المجتمع الصغير الذي يعيش في كنفه.

وهنا تأتي مسؤولية الملك أو الحاكم أن يفتح فمه ويدافع عن أمثال هؤلاء الناس العاجزين، والذين شَبَّهوا بالإنسان الأخرس، أي الذي لا يستطيع الكلام أو رفع الشكوى. أي يكون صوت الذين لا صوت لهم. وعلينا أن نتصور كم يفرح هذا الإنسان العاجز عندما يجد من يدافع عنه.

وعادت والدة لموئيل وكررت له القول: "افتح فمك." إن أول خطوة نحو رفع الظلم تكون بفتح الفم. أي بالتكلم عن الظلم الذي يعيشه الإنسان المظلوم. فكيف نستطيع مساعدة أي إنسان ينوء تحت الظلم إذا لم نرفع الصوت عالياً فاضحين الأمر، وكاشفين عن الظلم الذي يعانيه؟ هل تعلم مستمعي أن أكثر ما يخيف الظالم هو قول الحقيقة؟ ولهذا فهو يحاول جاهداً إخفاء الأمر لكي لا يعرف الآخرون حقيقة ما يجري. لكن عندما يُفضح الأمر، يصبح الظالم مكشوفاً. فيسعى عندها إلى الإصغاء للمظلوم، ورفع بعض الغبن عنه إرضاء له.

لكن والدة لموئيل لم تقف عند هذا الحد، بل تابعت طالبة من الملك لموئيل أن "يقضي بالعدل، وأن يحامي عن الفقير والمسكين." إن القضاء بالعدل هو الأساس الصحيح لأي ملك أو حاكم. إذ بدون العدل يغدو الملك أو الحاكم مستبداً، ويفقد صفته ومكانته كحاكم منصف ونزيه لكل فئات المجتمع. أما الفقير والمسكين وهم من الضعفاء في المجتمع والمحرومين والمستغلين، فمن البديهي أن يحامي، أي يدافع، الملك أو الحاكم العادل عن حقوقهم، وأن يسعى لكي يرفع الظلم عنهم ويلبّي مطالبهم. لا بل أن يعمل نحو تحقيق آمالهم بالعيش الرغيد السوي.

مستمعي الكريم، يبدو واضحاً من كلمة الله أنه على الملك أو الحاكم لا أن يكون عادلاً فحسب، بل أن يسعى لإنصاف الفقراء والمظلومين. وعندها يسود العدل البلاد ويعم الاستقرار الحقيقي. لكن، هل هذا ما نراه في عالم اليوم؟ أم نرى العكس تماماً حيث يرضخ الحكام لمصالح الأغنياء والأقوياء في المجتمع؟

هل تعلم مستمعي من هو الملك العادل الحقيقي؟ إنه المخلص يسوع المسيح الذي تتبأ عنه النبي إشعياء قائلاً أنه: "لا يقضي بحسب نظر عينيه ولا يحكم بحسب سمع أذنيه. بل يقضي بالعدل للمساكين ويحكم بالانصاف لبائسي الأرض.." (إشعياء ١١: ٣ و ٤)

لكن، هل قضى الملك المسيح بالعدل للمساكين وحكم بالانصاف لبائسي الأرض؟ لقد أجابنا المخلص المسيح نفسه عندما وقف حيث تربى في مجمع الناصرة، أي مكان العبادة لليهود، وقرأ ما جاء في سفر إشعياء الذي كان مكتوباً فيه هذه الآيات: "روح الرب عليّ لأنه مسحني لأبشر المساكين، أرسلني لأشفي المنكسري القلوب، لأنادي للمأسورين بالإطلاق، وللعمي بالبصر، وأرسل المنسحقين في الحرية، وأكرز بسنة الرب المقبولة... فابتدأ - المسيح - يقول لهم : إنه اليوم قد تمّ هذا المكتوب في مسامعكم." (بشارة لوقا: ١٨-١٩، ٢١)

أجل، إن المسيح هو الملك العادل الحقيقي الذي أتمّ نبوءة إشعياء، فأتى وبشّر المساكين، أي الضعفاء والمقهورين في المجتمع، برسالة الخلاص المفرحة. وشفى كل منكسري القلوب أي البائسين والمتألمين. وحرر المأسورين بقيود الخطية، ووهب المنسحقين الذين لا أمل لهم الحرية الحقّة. مستمعي الكريم، إن ملك المسيح هو ملكٌ روحي، ويسود على مملكة روحية تختلف بالكلية عن باقي الممالك الأرضية. أما أعضاء هذه المملكة فهم كل من يؤمن بالملك والمخلص المسيح. الذي يشفيه من البؤس والشقاء والألم، ويحرره من قيود الخطيئة المكبلة لحياته، ويهبه الحرية الحقّة.

ألا تود مستمعي أن تُشفى من البؤس والشقاء والألم؟ وأن تتحرر من قيود الخطية؟ وأن تتال الحرية الحقّة؟ لم لا تأتي اليوم وتملك المسيح على حياتك؟ فتختبر أعظم اختبار في الوجود، وتصبح من رعايا هذا الملك العظيم!